

مشاعر كعب بن زهير تجاه النبي ﷺ في قصيدة بانت سعاد

إكرام الحق يسين *

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد، فإن قصيدة كعب بن زهير (١) رضي الله عنه تعد من أنفس أساليب المديح النبوي الشريف وأبلغها، ويزيدها جمالا وقوة نسقها من أولها إلى آخرها، في حين أن شخصية الشاعر أيضاً عامل مهم في جودة هذه القصيدة، فالشاعر وهو أبوالمضرب كعب بن زهير (٢٦ هـ / ٦٤٥ م) بن أبي سلمى ربيعة بن رياح، ينتمي إلى قبيلة مزينة وينتهي نسبه إلى عدنان، (٢) كان شاعراً مجوّداً كثير الشعر مقدّماً في طبقته، وأبوه زهير بن أبي سلمى من أشعر شعراء العرب، ولكعب ابن شاعر اسمه عقبة الملقب بالمضرب شاعر، وابنه عوام - شاعر أيضاً، وخاله شاعر، وعمته سلمى شاعرة، وأخته خنساء شاعرة أيضاً - (٣) وقد أثر ذلك كله في نظم هذه القصيدة، كما أن سبب نظمها هو الآخر زاد من اعتبار القصيدة، وقصتها أنّ مجيراً أخو كعب جاء النبي ﷺ وأسلم (٤) لما كان يعلم بمبعث رسول الله ﷺ بإخبار والده زهير بمجالسة أهل الكتاب، وأنه قُرب زمانه. فلما بلغ كعباً إسلام أخيه كتب له أبياتاً يذم فيها الدين، وكان كعب قد قال أبياتاً مطلعها :

ألا أبلغا عني مجيراً رسالة
فويحك فيما قلت ويحك هل لكا

ومن بين هذه الأبيات قوله:

وخالف أسباب الهدى وتبعته
على أي شيء ويب غيرك دلكا

ثم هرب من هناك، وطلق يحول في الأرض يهجو المسلمين ونساءهم، ويؤذيهم بشعره، فعلم النبي ﷺ بذلك فأهדר دمه، فقال عليه السلام: "مَنْ لَقِيَ كَعْبًا فَلْيَقْتُلْهُ"، فاستمر كذلك لفترة من الزمان، والإسلام ينتشر في مشارق الأرض ومغاربها فطاف بين القبائل، واستعان بأصدقائه، ولكن لم يجر من رسول الله ﷺ أحد فضاعت عليه الأرض بما رحبت، وبرئ عنه جميع من كان يأمل فيهم. فما لبث أن وصلته رسالة من أخيه بجير يقول: أسرع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يقتل من جاءه تائباً، فإن لم تفعل فانج بحياتك في الأرض. ويقال أنه بعث إليه بأبيات يقول فيها :

مَنْ مَبْلَغَ كَعْبًا فَهَلْ لَكَ فِي الَّتِي تَلُومُ عَلَيْهَا بَاطِلًا وَهِيَ أَحْزَمُ
إِلَى اللَّهِ لَا الْعَزِيَّ وَلَا اللَّاتِ وَحَدَهُ فَتَنْجُو إِذَا كَانَ النِّجَاةَ وَتَسْلَمُ
لَدَى يَوْمٍ لَا يَنْجُو وَلَيْسَ بِمَقْلَبٍ مِنَ النَّارِ إِلَّا طَاهِرُ الْقَلْبِ مُسْلِمُ
قَدِيرٍ زَهِيرٍ وَهُوَ لَا شَيْءَ دِينِهِ وَدِينِ أَبِي سُلَيْمَى عَلَيَّ مُحَرَّمٌ (٦)

فعند ذلك رق قلب كعب، ووثق بعفو الصادق الأمين، فنزل إلى المدينة، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على شدة ارتباط الناس مع النبي ﷺ ومع الإسلام مع حداثة عهدهم بهما. ومن هنا يقول البعض أن كعباً نظم هذه القصيدة خوفاً من رسول الله ﷺ، ولكنني أرى أن نظمه إياها كان من اقتناعه بحقية دين محمد ﷺ بعد أن رأى بأم عينه من تمسك الناس به وبدينه ﷺ فشرح الله صدره للإسلام، واطمأن، وغمره حب النبي ﷺ فأراد الحضور إليه

* أمين مجلس الفكر الاسلامي الحكومة الفدرالية ، اسلام آباد ، باكستان.

عليه السلام وإعلان التوبة في حضرته، إلا أنه أخذ بالحيلة واستشفع بأبي بكر رضي الله عنه كما سيظهر من ترتيب أبيات قصيدته. ويؤيد ذلك قصة قدومه إلى مسجد النبي واستشفاعه أبا بكر في حضرته، فمجرد أن أذن له رسول الله ﷺ لم يصبر على حاله إلا أن قال: "أنا كعب بن زهير يارسول الله"، وكان ذلك حوالي السنة التاسعة من الهجرة النبوية الشريفة. (٧) وسوف نشير إلى ذلك أثناء دراسة مشاعره في القصيدة تجاه النبي ﷺ. والدليل الآخر على ذلك أن أسلوب إلقائه لقصيدته لا يمت بالخوف بصلة بل يظهر منه أنه كان هادئ البال مطمئن القلب أثناء إلقائها، وكان يتفنن في أساليب بلاغية طبيعية من التشبيب والتغزل وذكر الناقة، والاستعانة بالأصدقاء، والاستيجار بالقبائل، وما إلى ذلك، وذلك كله للوصول إلى ذكر النبي ﷺ. والناظر في القصيدة يشاهد أسلوب الالتفات القوي من ذكر الحبيبة وأوصافها التي تدعو إلى حبها والتعلق بها، ثم ذكر الناقة التي يركبها الشاعر وراء حبيبته وما يتعلق بها من ملامسات وملابس، ثم ذكر أحبته وأصدقائه.... إلى أن أتى على ذكر الحبيب المصطفى بأسلوب بليغ رويديا وهويديا، وإليك مثال ذلك في قوله:

فثَلْتُ خُلُو سَبِيلِي لَا أَبَا لَكُمُو فكل ما قدَّرَ الرحمن مفعول

وكلما تعمق في بيان حبه لسعاد، و ما يمت إليها بصلة، كلما كان التفاته إلى رسول الله أقوى. ومعلوم أنه لم يقصد من إلقاء قصيدته هذه مدح حبيبته أبداً، بل كان كل قصده مدح رسول الله ﷺ أولاً وأخيراً واستعطافه عليه السلام، ويظهر ذلك واضحاً في ترتيبه للقصيدة.

ويبدو أن كعباً رضي الله عنه لم يكن لديه معلومات كافية حول أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم فاكتفى بوصفه عليه السلام بأوصاف عامة سمعها من الناس ولم يعايشها بنفسه، فلا نجد في هذه القصيدة خطأ كبيراً للمديح المباشر للنبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك حظي بقبول لدى النبي صلى الله عليه وسلم وتأيد منه، وهو نقطة الجمال والكمال في هذه القصيدة. فسرده الشاعر قصيدته هذه بأسلوب شائع بين شعراء زمانه كما بيننا، ثم لما بلغ إلى هذا المكان منها تحول من ذكر الناقة إلى ذكر ابتلائه بعد صدور أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله، فربط بين ذكر سعاد الذي استطرد في الارتباط بها من خلال وصف الناقة التي يمكنها التوصيل إليها وبين ذكر أمر صادر بقتله بصيغة المجهول، وفعل ذلك بكمال المهارة والبلاغة، فقال:

تَسْعَى الْوُشَاةُ جَنَائِبَهَا وَقَوْمُهَا إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سُلْمَى لَمَقْتُولُ

وخلاصة قوله أن الوشاة بفعلهم هذا قصدوا مقصدين: الأول: تنفير سعاد عن الشاعر، والثاني: تخويفه بتهديد النبي صلى الله عليه وسلم، فكلمة الْوُشَاةُ تدل على ذلك إذ أن الواشي يسعى بالنميمة لِيُغَيِّرَ الْقُلُوبَ عَنْ الْمَوَدَّةِ ونحوها. ويقصد بقوله جنائِبها أن الوشاة يسعون حول سعاد يضللوها عنه ويعلنون بأن مصير ابن أبي سلمى قتل لا محالة، فلا فائدة من تعلقها به، وهو أسلوب لطيف لبيان تبرئته من أمر سعاد وتحوله إلى المديح النبوي، فاستعماله "لمقتول" بصيغة المفعول دليل على قوة البيان بالتركيز الخفي على الفاعل. فكانه يقول انتبهوا إلى من أمر بقتل كعب و تخيلوا قوته وإطاعة متبعيه له حيث يقول الوشاة " إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سُلْمَى لَمَقْتُولُ " بكل حزم وجزم فلا يشكون فيه شيئاً فيا ترى كم يكون الأمر شديداً وقوياً وكم يكون مطاعاً في قومه.

ثم زاد في تصويره لقوة الأمر بقتله وهيبته - وهو النبي محمد صلى الله عليه وسلم - فأخذ يتخلص من ذكر سعاد إلى الدخول على المراد من ذكر ما حصل له من الخوف عند ذلك فقال حين حدّثوه فاستجار بأخلائه فلم يسعفه أحد منهم، ومن خلال ذلك توصل إلى ذكر المقصود وهو النبي صلى الله عليه وسلم، فقال:

وقال كل خليل كنت أمُّهُ لألهيَّكَ إني عنك مشغول

يعني لافراغ لي لنصرتك، وأن ماؤعدت به حق لايمنعك عنه أحد. وهو زيادة التوعد له بالتهويل والتسلي عما يظن حصوله من السلامة من بأس رسول الله ﷺ. فكان المعنى: لا تنتظر لك فرجا مما علمت، ولا تشتغل بانتظار الفرج من غير باب رسول الله ﷺ، وجد في ذلك، وقد كان علم أن من توعد رسول الله ﷺ بشيء لا ينجو إلا به، ولا يحيص له سواه. وهو من أوصافه التي من الله تعالى عليه بها، يدل على ذلك ما قد ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه أنه ﷺ حين نزل بخير قال: "الله أكبر، خربت خير، إننا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المُنْذِرِينَ" (٨). ونصير عليه السلام بالربع مسيرة شهر (٩). فكانه يقول: لم يبق لي بعد ذلك إلى رسول الله ﷺ.

ولقد كان ذكياً إذ اختار لاستعطاف النبي صلى الله عليه وسلم بعد يأسه من كل صديق اسماً من أسماء الله تعالى، وهو الرحمن، الذي دعى إليه صلى الله عليه وسلم على وجه الخصوص، ولعله رضى الله عنه اختاره لشموله الرحمة العامة الشاملة، ومن جهة أخرى فلعله كان قد سمع عن أهل مكة أنهم أبوا السجود للرحمن وردوا على النبي صلى الله عليه وسلم، كما قال الله تعالى: وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا (٥٨) الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا (٥٩) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا (٦٠) [الفرقان ٥٨: ٦٠ - ٥٩] فجعل من ذكر اسم الرحمن وسيلة له إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

فَقُلْتُ خَلُّوا سَبِيلِي لِأَبَا لَكُمُوكُلِّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولٌ

وبذلك يكون قد مهد الطريق إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكانه قال للأجلاء الذين تبرؤا منه وعلم أنه لا منجدة له منهم. خلو سبيلي: أي طريقى التي أسلكها لملاقاة رسول الله ﷺ، ولقد كان قد بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل عن من يأتيه تائباً، ولا يؤاخذ بما سبق لأحد قبل الإسلام، وهذا الباعث الأول، والثاني الاعتماد على ما قدره الله عليه وأنه لا يحيص عنه فيقوله فكل ما قدر الرحمن مفعول. ثم أكد على تكلانه على الرحمن، وعدم مبالاته من حياته في سبيل وصوله إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

كُلُّ ابْنِ أَنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا عَلَى آلَةِ خَدْبَاءَ تَحْمُولٌ

وهنا نرى كيف تحول الشاعر من استعمال الأساليب العامة وصيغ المجهول إلى الإفصاح بذكر النبي صلى الله عليه وسلم، وبيان المقصود الذي هو إظهار توبته مما كان عليه، ونرى أنه غيّر الأسلوب بدقة فائقة إذ بدأ المصراع الأول بصيغة المجهول للنبا الذي وصله غير مبال بمن قاله، إلا أنه أتبع بصيغة المجهول هذه بذكر رسول الله بصيغة المعروف مركزاً كل تركيز على ذكره صلى الله عليه وسلم في المصراع الأول، وواصله في المصراع الثاني بذكره ظاهراً، ثم كانت نهاية المصراع الثاني بصيغة المفعول - الذي هو مجهول في الأصل -، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن شخص الرسول صلى الله عليه وسلم مدار اهتمام الشاعر رضى الله عنه دون ملايسات ذكره، فقال:

أُنَبِّئُكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولٌ

فَأُنَبِّئُكَ: بصيغة المجهول يساعد على أهمية النبا الآتي من رسول الله دون الاهتمام بذكر المنبئ، وذلك لعدم تعلق غرض به، أو أنه يحكيه غير جازم به طلباً للإستعطاف. وقال "رسول الله"، ولم يقل "محمدًا" مع أنه لم يسبق إعلان إسلامه، وهو من فرط ذكائه تقريباً إليه عليه السلام ودليلاً على أنه جاء مؤمناً مستانماً. ثم أعاد اسم رسول الله ﷺ مظهرًا في قوله: "والعفو عند رسول الله مأمول" وذلك لإظهار التعظيم والتأكيد على صدق توبته. وقد علم إسلامه بهذا حيث ذكر أنه ﷺ رسول الله حق، وإن كان الحكم في ذلك موقوفًا على النطق بالشهادتين كما وقع له

حين تشافه رسول الله ﷺ. وقد تواترت الأخبار، واشتهرت الآثار بصفة العفو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد انعقد عليه الإجماع ما لم يكن ذلك في حد من حدود الله، أولاً انتهاك حرمة من حُرِّمات الله كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: "مارأيث رسول الله ﷺ منتصراً من ظلامة ظلَّها ما لم تكن حرمة من محارم الله عز وجل، وما ضرب بيده قط شيئاً إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما ضرب خادمًا، ولا امرأة" ١٠. وفي حديثها الآخر: "وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تُنتهك حُرِّمات الله تعالى لينتقم لذلك ١١، وجرىء إليه برجل فقيل: هذا أراد أن يقتلك فقال له النبي ﷺ: لن ترأع لن ترأع، ولو أردت ذلك لن تُسلط علي. وتصدَّى له غورث بن الحارث في بعض الغزوات ١٢ وهو ﷺ مستندٌ تحت شجرة وحده قائلًا والناس قائلون فلم ينتبه ﷺ إلا وهو قائم بالسيف صلتًا في يده فقال: من يمنعك مني؟ فقال: "الله". فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ وقال: من يمنعك مني؟ فقال: كن خير آخذٍ، فتركه وعفاه، فجاء قومه فقال: جئكم من عند خير الناس ١٣. وغير ذلك من الأخبار المشهورة والمتواترة والقصص المعلومه. فكانه يقول: بلغني وعيد رسول الله ﷺ إياي والحال أن العفو والتجاوز عني عند رسول الله ﷺ مرجو، فكان الأمر كذلك.

وكمال بيانه أنه يتقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رويداً رويداً، حتى يصل إلى هذا البيت فالتفت من غيبته عن رسول الله ﷺ إلى حضوره وخطابه تميمًا للإستعطاف، ويذكر أوصافه واحداً تلو الآخر، فبعد أن أقر برسالته عليه السلام، اعترف بحقية القرآن، وأنه منزَّل من الله تعالى، فقال:

مَهْلَاهُ ذَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً الـ قُرْآنَ فِيهِ مَوَاعِظٌ وَتَفْصِيلُ

قال الحافظ السيوطي رحمه الله في شرحه على القصيدة: فإن قيل إذا كان معنى النافلة الزيادة فما المراد بزيادة القرآن هنا؟ فالجواب ما أشار إليه ابن هشام رحمه الله في شرحه أن الله أنزل على رسوله ﷺ آياتٍ عظيمةً علَّمه إياها، وجعل الكتاب زيادةً كما في قوله تعالى: {ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ} (١٤). زيادة على العلم الذي أتقنه. وهذا الذي ذكره ابن هشام وارتضاه الحافظ (١٥)، محله إن جعلت الإضافة في نافلة القرآن للبيان، وإن جعلت بعض المدلول للدلالة فإنَّ القرآن يدل على الفرائض والنوافل وغير ذلك. ونكتة تخصيصه النافلة في الإضافة لكون العفو والصفح المطلوب من نافلة القرآن لamen فرائضه، لتمام الاستعطاف والتسليم لكونه يستحق العقوبة، وعمم هذا المراد بقوله فيه مواعِظٌ من فضل العفو والصفح، كقوله تعالى: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ} (١٦)، و{أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} (١٧). وفيه تفصيل من جهة كون العفو عنه، وليس فيه إبطال حد من حدود الله كما في حديث المرأة التي سَرَقَتْ فكَلِمَ أُسامَةَ ابْنِ زَيْدٍ لِيَكَلِمَ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ليعفوه عن قطع يدها فلم يفعل رسول الله ﷺ (١٨). فكان كعباً يشير إلى أنَّ العفو عنه لا ينزل عن درجة النفل مع كونه جاء مؤمناً مسلماً. وأنه من فيض ممدوحه صلى الله عليه وسلم. ثم أتى بنقطة لطيفة يشير بها إلى أن باب العفو عنه ليس بمسدود لأن ذنبه كان قبل إسلامه فلا يحتم عليه القتل ولا يمنع عنه العفو فقال متضرعاً مستقيلاً:

لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ أَذْنِبْ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي الْأَقْوَالِ

فكانه يقول لا تُرَبِّبْ عقوبتي بسبب أقوال الوُشَاةِ لأن ذنبي كان قبل إسلامي فلا يقتضي عدم العفو البتة وأني قد جئت مسلماً. فاندفع ما يقال أنه كتب إلي أخيه بُجَيْرٌ يذمُّ الدين، ولما أهدر رسول الله ﷺ دمه كتب إليه بُجَيْرٌ بذلك، وأنه لا يواخذُ بما قبل الإسلام. فأتضرعُ إليك في العفو وترك المؤاخذه بسبب نقل الوُشَاةِ ما ليس بصحيح في حال كوني لم أرتكب ذنباً يمنع عني العفو وإن كثروا في.

لم يكتف الشاعر رضي الله عنه بإلقاء المسؤولية على عاتق الوشاة، بل بالغ في الاستعطاف بذكر هبة رسول الله ووصفها بأسلوب رائع يدعو إلى العطف عليه فقال:

لقد أقومُ مقامًا لو يقومُ به أرى وأسمع لو يسمعُ الفيل
لظُلَّ يرعدُ إلا أن يكونَ له من الرسول بإذن الله تنويل

فكانه يقول: والله لقد أقوم قيامًا بين يدي رسول الله ﷺ أراه وأسمع، لو يقوم فيه الفيل مع عظمه من كل وجه فيرى ويسمع ما أرى وأسمع لاستمرّ مُنزَعَجًا متحرك الأعضاء رُعبًا وفرعًا، إلا أن يَمُنَّ عليه رسول الله ﷺ بإذن الله عز وجل وفضله بأمانٍ مما يخافه ويحده من هبة رسول الله ﷺ، و قد تواترت الأخبار أنه ﷺ مع كمال تلطفه ورفقه ومؤانسته كان أشدَّ هيبَةً من الملوك وأقوى رهبة في الصدور، وما كان لطفه يزيدهم إلا هيبَةً له ووقارًا، وقد وصف السيد على رضي الله عنه مجلسه ﷺ فقال: "إذ اتكلم أطرَقَ جُلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا لا يتنازعون الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ من حديثه (١٩)" وفي صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه: وما كنتُ أَطِيقُ مِلَّ ء عيني منه إجلالاً له ﷺ، ولو قيل لي صِفْهُ لما استطعتُ، لأنني لم أكن أُمْلأُ عيني منه (٢٠)، وربما غلبتِ الهيبة على رائيه حتى تأخذه الرعدة، فقد جاء أنه دخل عليه ﷺ رجلٌ فأصابته من هيبتة رعدة فقال له: "هُوَ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا أَنَا ابْنُ أُمِّرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ (٢١)". وهذه هبة الأبصار، وأمّا هبة السماع فلصولة الحق الذي يسمع منه وينطق به، ونطقه عن الحق، وللحق صولة الملك في رعيته، ومنها القرآن، فإنَّ له روعة تلحق قلوب سامعيه، وهيبة تعزيمهم عند تلاوته لقوة جلالاته، قال الله تعالى: {لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ (٢٢)} وقال تعالى: {تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ (٢٣)} وقد ثبت من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بِـ "الطُّور"، فلما بلغ هذه الآية: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ... إلى قوله: {الْمُسْتَطْرُؤُونَ (٢٤)}، كاد قلبي يطيرُ وذلك أَوَّلَ ما وَفَّرَ الإسلام في قلبي (٢٥). إلى غير ذلك من الأخبار والآثار.

ثم يجسد رضي الله عنه مشاعره في كلماته عند قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصافحته لأول مرة في حياته، وخاصة بعد أن أهدر عليه السلام دمه. وقوة البيان تكمن في إتيان هذا المنظر بعد أن قارن حاله مع حال الفيل الذي لا يطيق هذه الوقفة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، يَمُرُّ وَمَسْمَع منه عليه السلام، مع أن الفيل أقوى قلباً وأصمد جسداً من الإنسان، فقال:

حتى وضعتُ يميني لأنازعهُ في كفِّ ذي نَقَمَاتٍ قِيلُهُ الْقِيل

نرى كيف يُعرب الشاعر عن فرحه وسروره وسعادته، فالمصافحة بذاتها سنة ومكرمة، وأحرى ماتشرف به اليمين مصافحة سيد المرسلين ﷺ. ثم ييدي مشاعره في هذه الحال بأن هذه الكف المباركة كان بإمكانها أن تتحرك للانتقام مني، ولتعزيري على ما بدر مني في حق رسول الله وحق المسلمين إذ كنت أجهل مكانته، كما أنه كان من الممكن أن يأمر أحداً من أصحابه فيقتلونني لأن كلمته مسموعة وأمره مطاع، عبّر عن ذلك بقوله "قِيلُهُ الْقِيل"، إلا أنه بمجرد حضوري إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووضع يدي في يده انتهت المعارضة وتَفندت المنازعة، وهو شعور يفتخر به الشاعر. قيل أن كعباً رضي الله عنه عندما قدم على رسول الله ﷺ وهو في المسجد، وضع يده في يده وقال يا رسول الله إنَّ كعب بن زهير جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً فهل أنت قابلٌ منه إن أناجيتك به،

قال نعم، فقال يارسول الله: أنا كعب بن زهير. فقال: الذي يقول مايقول؟ ثم أقبل على أبي بكر فاستنشدته الذي كان قد بلغ رسول الله ﷺ عنه، فأنشدته أبو بكر:

سقاك بها المأمون كأساً روية فأنهلك المأمون منها وعَلَّكَا

فقال: لم أقل هذا، وإنما قلت: سقاك أوبكر بكأس روية وأنهلك المأمون، فقال رسول الله ﷺ مأمون والله، فوثب عليه رجل من الأنصار فقال يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه، فقال: دعه عنك، فإنه قد جاءنا تائباً نازعاً، ثم أنشد القصيدة بين يدي رسول الله وهو يسمع. فكانه يقول: دنوت من رسول الله ﷺ قائماً حتى جلست بين يديه ووضعت يميني في كفه ﷺ مستسلماً له لأنازعه أمره، والحال أن أمره هو الأمر المطاع وغيره لاشيء.

ثم بعد ذكره أن رسول الله ﷺ ذوبأس شديد لا ينارغ في أمره ونهييه، زاد أنه ﷺ أشد هيبه من اللبوث العظيمة والمنعة، وخاصة عندما أقف أمامه لأكلمه، ويقول لي الناس أني منسوب ومسؤول لا محالة، فقال:

لَذاكَ أهيب عِندي إِذْ أَكَلُمُهُ وقيل إنك منسوب ومسؤول

مِن خادِرٍ مِّن لَّبِوثِ الْأَسَدِ مَسْكَنُهُ مِّن بَطْنِ عَثْرٍ غِيلٌ دُونَهُ غِيلٌ

ومعنى منسوب: أي مسؤول عن نسبك الذي زعمت أن من تُنسب إليهم يحمونك، وقد تبرأوا منك، ومسؤول عما بلغ رسول الله ﷺ عنك. ويعني أن هذه الهيبة أشد عندي من هيبة لبوث أشداء محتبة في خدورها في مكان يسمى بطن عثر تغطيها أشجار ملتفة بعضها ببعض، فيشبه أجمة من قصب يأوى إليها الأسد (٢٦). فكانه يقول: لرسول الله ﷺ في فؤادي أشد هيبه من أشد لبث في حال سماعي مالا جواب لي عنه مما أستحق به كل عقوبة.

ثم بدأ يزيد في وصف الليث الخادِر الذي هيئته دون ماوجده فكانه يقول يذهب الخادِر المذكور غداة النهار لكمال شجاعته لا يختلس مايريد فيطعم ولديه لحماً من لحوم الرجال كثيراً، ولكثرته ملقى على التراب مقطوعاً قطعاً صغاراً لعدم شهوة منهما في الأكل، ولشبعهما بكثرته، فهو في غدوه هذا أهيب منه في كونه خادراً. قال رضى الله عنه:

يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما لحم من القوم معفور خراديل

وبذلك فإن كعباً رضى الله عنه لما أوقع الله في قلبه من الإيمان برسول الله ﷺ مالا يقدر قدره مزوجاً بتلك الهيبة منه ﷺ، فوقف به العجز عن نعت رسول الله ﷺ لحيثته، فأخذ يقرب ذلك بالمثل، ويرز ما وجد ه في نفسه في ذلك ومراده، لازم هذه الأمور من قدر مامنحه الله له ﷺ.

ثم وصف الخادِر بجهة أخرى من الشجاعة فقال:

إِذا ساورَ قِرْنًا لا يَمِلُّ لَهُ أن يترك القِرْنَ إلا وهو مفلول

يعني ذلك عندما يثب أحد الأقران الشجعاء المقاومين على الآخر ليفترسه، لا يجد لقوة سطوته مجال لأن يترك ذلك القِرْنَ مجال من الأحوال. إلا وهو مفلول ومكسور. فكانه يقول: وعندما غالب ذلك الخادِر شجاع يقارنه شجاعة لا يتركه يذهب بلا عطب، إمّا بكسره أو بقتله. وفي ذلك إشارة واضحة من الشاعر رضى الله عنه إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من خصائصه ﷺ أنه لا يجوز له أن يؤتى عن العدو ولو كانوا ألوفاً، ولم يعرف له ﷺ أنه أدبر يوماً في الحرب. (٢٧)

ثم زاد للخادر غير ماسبق من الوصف فقال:

منه تظلل سباع الجوّ ضامِرةٌ ولا تُمشى بواديهِ الأراجيل

يعني تدوم الأسود وكواسر الطيور التي بين السماء والأرض خوفاً من ذلك الخادر ساكنة أو ساكنة أو خيصة البطون. وكذلك تمتنع جموع الرجال الكثيرين من المرور بما ينسب له من الأرض. ثم قرر ما تضمنه البيت السابق، وذكر مثلاً من بأسه فقال:

ولا يزال بواديهِ أحوثُةٌ مُطَرَّحَ البَرِّ والدرسانِ مأكول

فكانه يقول: ولا يمر بواديهِ إلا الشجاع الذي يثق بشجاعته ويحتمي بسلاحه، ومع ذلك لا يسلم من بأس ذلك الخادر فيوجد بذلك الوادي مأكولاً قد مزقت ثيابه وطرح سلاحه لا يُعْبَرُ بهما، ولا يُلْتَفَتُ إليهما. فلما أتم وصف الخادر الذي لا يعبا بهيته أمام هبة النبي صلى الله عليه وسلم، عاد إلى التصريح بمدح النبي ﷺ ويصف وصفاً آخر من أوصافه صلى الله عليه وسلم، واصل فيه بيان سبب هيئته مكيفاً مع مجتمع جزيرة العرب الذي تتكلم فيه السيوف أكثر من كلام الألسن فقال:

إنَّ الرُّسُولَ لَسَيْفٌ يستضاء به مُهَنَّدٌ من سيوفِ الله مسلولٌ

أي أن رسول الله ﷺ لسيف قاطع بإمكانه قطع كل ضلال، ولكنه مع قوته وسطوته وشجاعته يفضل هداية الناس ودعوتهم دون استعمال القوة وقتل من لا يلي دعوته. ويدل المصراع الثاني على أن هذا السيف مع كونه يضيء طريق الهداية مسلول مُخَرَّجٌ من غمده لبيان هيئته ﷺ لإقامة الدين ورد المعاندين. ويدفع قوله "من سيوفِ الله" شبهة القائلين بأن السيوف التي يصنعها الحدادون لا تستعمل للإضاءة فكيف يستقيم تشبيه رسول الله "بالسيف" واستعماله للإضاءة، فالجواب أنه ليس بسيف منسوب إلى صنعة قَيْن، بل إنه سيفٌ من "سيوفِ الله" سلَّه الله بصفته: الإضاءة والقطع فلا تصلح نسبته إلى سيوف الناس، وليس هذا التشبيه إلا تقريباً لفهام الخلق. وهناك تعبير مادي لقوله "لَسَيْفٌ يستضاء به" وهو أن من عادة العرب أنهم إذا أرادوا استدعاء من حولهم من القوم في ليل أو نهار شهِروا السيف الصَّقِيلَ وَبَرَّقَ به، فتظهر لامعته على بُعد فيأتوا إليه مُهْتَدِينَ بنوره ومؤيَّنين بهديه، والرسول ﷺ لما جاء بالنور المبين والمعجزات الظاهرة، ودعا الناس إلى الله أتوا مُهْتَدِينَ بنوره الطالع وسناه الساطع وضيائه اللامع. وقد ورد من هذا المعنى في القرآن: {يَأْيَاهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيرًا، وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيرًا} (٢٨). فشبهه بالسراج عندما وصَّفه بكونه داعياً إلى الله بإذنه. إنني أحترم هذا التعبير ولكن لي لاحظته بسيطة، وهي أن الرسول عليه السلام بث الضياء لهداية الناس كالسراج والشمس، ولم يكن شأنه للمعان مرتكراً في مكانه، ينتظر وفدهم إليه، فإن ذلك قد يكون محمداً من نشاطه الدعوي إلى مركزية، والله أعلم.

وفي رواية أبي بكر ابن الأنباري أنه لما وصل إلى قوله:

إنَّ الرُّسُولَ لَسَيْفٌ يستضاء به مُهَنَّدٌ من سيوفِ الله مسلولٌ

رمى له بردة كانت عليه، وأن معاوية رضى الله عنه بدَّلَ فيها عشرة آلاف درهم فقال: ما كنت أؤثر بثوب رسول الله ﷺ أحداً. فلما مات كعب بعث معاوية رضى الله عنهما إلى ورثته عشرين ألفاً فأخذها منهم، وهي البردة التي عند السلاطين اليوم، انتهى (٢٩).

لم يكتف الشاعر بمدح النبي صلى الله عليه وسلم، بل مدح أيضاً من ساندته في مكة من قريش، ولكنه لم يمدحهم لوحدهم، بل جعل مركز المدح شخصية النبي صلى الله عليه وسلم ومن خلاله دخل في مدح قريش، فكانه جعل اجتماعهم حول النبي صلى الله عليه وسلم، وحميتهم له - وصفاً من أوصافه صلى الله عليه وسلم فقال:

في فتية من قُريش قال قائلهم بيطن مكة لما أسلموا زولوا

يعني أن فتية قريش لما دخلوا في الإسلام - واتفق أن أول من أسلم خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وهي زوج النبي ﷺ، ثم اختلف في إسلام من بعدها، فقيل على بن أبي طالب رضي الله عنه، وعمره تسع سنين أو عشر أو إحدى عشرة، وكان في حجر رسول الله ﷺ، ثم زيد بن حارثة مولي رسول الله ﷺ كان اشتراه وأعتقه (٣٠)، ثم أبوبكر رضي الله عنه. وقيل أول من أسلم أبوبكر رضي الله عنه، ثم عثمان بن عفان، وقيل عبد الرحمن ابن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، ثم أبو عبيدة بن الجراح، وعبيدة بن الحارث وسعيد بن زيد، وعبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر، ثم حمزة رضي الله عنه وعنهم. وهو الذي قال لهم زولوا: أي اذهبوا بدينكم إلى غير مكة. فمدح النبي صلى الله عليه وسلم بإسلام فتية من قريش، ثم تركهم موطن آبائهم مكة لأجل النبي والإسلام، فكان كل ذلك مدحاً له، ودلالة على نجاح دعوته. قال محمد البديري القدسي: اعلم أن كل مؤقفي لا بد له إذا تحقق بالإسلام والإيمان أن يزول عما هو عليه، ويتجرد مما خِلطَ في أصل طبيعته. وأعني بهما الطبع النفساني والطبع الشيطاني، بحيث لا يصير لواحدٍ منهما علقة فيه، ويصير ميله وهمة لما جاء به الشرع فيما يخفيه أويديه.

ثم يواصل الشاعر مدحه عليه السلام بنجاحه في إستمالة فتية من قريش إلى الإيمان به والوقوف معه، وبعد أن بين أنهم زالوا عن مكة مهاجرين، أشار إلى أنهم كانوا على أكمل حال في بواطنهم من حيث الاعتماد على الله عز وجل، ومن حيث كانت لهم منعة وشدة لا غير ذلك فقال:

زالوا فما زال أنكاس ولا كشف عند اللقاء ولا ميل معازيل

ويعني إن الذين ذهبوا من مكة مهاجرين، لم يكن من بينهم نكس أو ضعيف مهين، ولا كشف لا يملك ثرساً وأسلحة في الحرب، وكذلك لم يكن بينهم أميل الذي لاسيف معه، أو الذي لا يحسن الركوب ولا يقدر على السرج. فكأنه يقول: ذهبوا من بطن مكة عملاً بقول قائلهم، ولم يكن فيهم ضعف ولا وهن ولا عدم سلاح، ولا من يخاف ركوب الدابة، بل كانوا معظمين لهم أتراساً للحروب وأسلحة لقتال الأعداء، أقوياء على ركوب الخيل وغيرها.

ثم قرر ما كتبه عنه في البيت السابق تصريحاً فقال:

شُمُ العرانيين أبطال لبوسهم من نسج داود في الهيجاء سرايل

يعني هم شُمُ الأنوف مرتفعي العرانيين أبطال شجعان، وسلاحهم فتاك ودروعهم متينة كأها من نسج نبي الله داود عليه السلام. فكأنه يقول: أولئك الفتية ذووا رِفعة قَدْرًا، وأهل شجاعة تامة، ملابسهم في الحرب دُرُوع الحديد لا مُطَلَقَات بل منسوجات داود عليه الصلاة والسلام. ولا يقال: إن من كمال الشجاعة أن لا يحتاج الشجاع إلى سلاح، فهم مسلحون، مستعدون لمواجهة أي بأس قد يواجههم. ثم وصَف تلك السرايل بأوصاف محمودة تستلزم الثناء على أربابها، ومن ثم تستدعي المدح على من كان سبب هدايتهم إلى طريق الحق، وهو النبي صلى الله عليه وسلم. فقال:

بيض سوابغ قد شكت لها خلق كأنه خلق القفعاء مجدول

يعني هذه السرايل بيض مجلوة، طويلة وسابغة قد نسجت بخلقات دخل بعضها في بعض، كأن هذه الخلق خلق شجر القفعاء الذي ينبث على وجه الأرض متداخل بعضه في بعض، فشبّه به خلق السرايل. مجدول: مُحكم الصنعة. فكأنه يقول: إن تلك السرايل التي هي لبوس الممدوحين الأبطال بيض مجلوة لاصداً بها، مع تقادم عهد

من نَسَجَهَا وَبُعِدَ زَمَنُهُ طَوِيلَةٌ قَدْ تَدَاخَلَ خَلْقُهَا بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ تَدَاخُلًا شَدِيدًا كَتَدَاخُلِ ذَلِكَ الشَّجَرِ وَبِفَيْدِ تَدَاخُلِهَا وَصَفْهَا بِالثَّقَلِ، وَاتَّقَانِ صَنْعِهَا، وَذَلِكَ دَلِيلُ قُوَّةِ بَدَنِ لَا بَسِيحَهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مَنْ هَدَاهُمْ بِهِ وَسَلَّم.

ثم أشار من خلال بيان كمالهم في ثباتهم إلى قوة إيمانهم وعلمهم بمقادير الله عز وجل، والرَّضَى بما يقتضيه تبارك وتعالى، لاحظْ لهم في شيء إلا ما كان لأمر رباني فقال:

لَا يَفْرَحُونَ إِذْ أَنْتَ رَمَاهُمْ قَوْمًا وَلَيْسُوا بِمُجَازِيْعًا إِذْ أَنْتَ

يعني أولئك الفتية الكرام رضى الله عنهم، لاستميلهم رعونات النفوس، بل إن فَرِحُوا بفِضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ لَا بَغِيرَهَا. وَذَلِكَ إِذْ أَنْتَ رَمَاهُمْ فَطَفَرُوا بِسَبَبِهَا فِي الْقِتَالِ. وَكَذَلِكَ فَانْهَمَ لَيْسُوا بِمُجَازِيْعًا خَائِفِينَ. إِذَا أُصِيبُوا وَطَفِرَ بِهِمُ الْعَدُوُّ، فَلَا يَمْنَعُهُمْ ذَلِكَ عَنْ مَقَابِلَةِ الْأَعْدَاءِ. فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: لَا وَايَةَ لِنَفْسِهِمْ عَلَيْهِمْ فِي شَيْءٍ لِأَن جَاءَهَا مَا تُحِبُّ أَوْ غَيْرِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَمَا لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَاذِبُونَ يَقْفَهُونَ حَدِيثًا} (٣١).

ثم تم وصفهم الذي سبق في البيت من حيث عدم فرحهم وجزعهم بكمال حلمهم وإناباتهم في سيرهم وغيره لإعتمادهم على الله عز وجل فقال:

يَمْشُونَ مَشْيَ الْجِمَالِ الزُّهْرِ يَعْصُهُمْ ضَرْبٌ إِذَا عَرَّذَ السُّودُ التَّنَابِيلِ

يعني أنهم من حيث التآني وعدم الإكتراب بمآامهم في هيئات البياض، يمشون مشي الجِمالِ البياض، يحفظهم نوع خاص من الجلد وقوة الصبر، وذلك في وقت يُعْرَضُ فِيهِ الْأَعْدَاءُ السُّودُ الْقَصَارِ وَيَفْرُونَ. فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: هُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَمْشُونَ مَشْيَ الْهَوَيْنَا بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، طَوَالَ الْقَامَاتِ، بِيَضِ الْأَلْوَانِ حَالِ كَوْنِهِمْ مُحْفُوظِينَ بِحَافِظِ الْقُوَّةِ وَالصَّبْرِ عَنِ الْفِرَارِ مِنْ عَدُوِّهِمْ فِي وَقْتٍ يَفِرُّ فِيهِ لِهَوْلِهِ الْأَعْدَاءُ، سُوْدُ الْأَلْوَانِ، قِصَارُ الْأَبْدَانِ فِي سُرْعَةٍ شَدِيدَةٍ، وَجَزَعٍ شَدِيدٍ.

ثم أتم القصيدة المباركة بذكر ما يدل على الشهادة لهم والفوز من الله تعالى بالمكانة الزلّقى على وجه كمال الثبات منهم إيماناً بوعده الله إياهم كلّ فضل ورحمة رضى الله عنهم أجمعين فقال:

لَا يَبْغُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نَحْوِهِمْ وَمَالَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلِ

يعني إنهم يكونون إلى الأعداء أقرب إليهم من بعضهم بحيث لا يطعنون إلا في نحورهم لتقدمهم طلباً للشهادة ونحوها، فلا يتأخرون عن موارد الموت، لعلمهم بفضل الجهاد في سبيل الله والاستشهاد في ذلك. فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: لَا يُؤَلَّوْنَ عَنْ طَعْنِ الْأَعْدَاءِ وَإِنْ كَانُوا ضَامِرِينَ بَلْ يَدْنُونَ مِنْهُمْ غَايَةَ الدُّنُوِّ، وَإِذَا عَلِمُوا يَعْطِبُ مِنَ الْأَعْدَاءِ لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهُ لَمَّا تَقَدَّمَ.

وبذلك نرى غاية الجمال والنسق في قصيدته لفظاً ومعنى، ويبقى المديح النبوي الشريف نقطة التركيز مهما ابتعد عنه الشاعر بذكر سعاد، والنوق، والأسود الخوادر، وغير ذلك، ويكمن كمال بيانه كذلك عندما مدح المهاجرين والأنصار ولكنه لم يزل يدور في مداره من شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، وخلاصة مدحه مركزية النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه لا مدح لمن التحق به إلا يؤكد علاقته به صلى الله عليه وسلم، فجراه الله خيراً ورضى عنه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

الهوامش

- (١) البيهقي: دلائل النبوة ٥ : ٢٠٧، ابن كثير في البداية والنهاية ٤ : ٤٣١، أبو الفرج الأصفهاني: - الأغاني ١٧ : ٩١ -
- (٢) الأصفهاني: الأغاني ١٧ : ٩١، ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١ : ٨١، الأعلام ٥ : ٢٢٦، الإصابة ٣ : ٢٩٥
- (٣) لسان العرب (شعر)، الإستيعاب علي هامش الإصابة ٣ : ٢٩٩، الأغاني ١٠ : ٣٣٦، ٣٦٤ -
- (٤) الشعر والشعراء ١ : ٨٩، وزاد كارل بروكلمان أنَّ أكثر أهل قبيلته مزينة أيضاً أسلموا، فهجاهم كعب- تاريخ الأدب العربي بروكلمان ١ : ١٥٦ سيرة ابن هشام ٤ : ١٠٢، الإستيعاب علي هامش الإصابة ١ : ١٧٠، أسد الغابة ١ : ١٦٤.
- (٥) البداية والنهاية ٤ : ٤٢٧، دلائل النبوة ٥ : ٢٠٧، سيرة ابن هشام ٤ : ١١
- (٦) شرح السكري ص ٤
- (٧) كَانَ إِسْلَامُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَوْلِي أَوَاخِرِ سَنَةِ ثَمَانٍ (٨) أَوْ فِي أَوَّلِ سَنَةِ تِسْعٍ (٩) مِنَ الْمِجْرَةِ، وَالثَّانِي هُوَ الرَّاجِحُ - وقد حاول عُمر فروخ تعيين هذا الزمان، فقال : ” فَعَزَمَ فِي سَنَةِ ٩ هـ / ٦٣٠ م على أن يستأنم إلى رسول الله ﷺ - تاريخ الأدب العربي عمر فروخ ١ : ٢٨٣ -
- (٨) البخاري : في كتاب الصلاة، و الأذان، و الجمعة، والجهاد والسير، والمناقب، والمغازي، ومسلم: في كتابي النكاح والجهاد، والترمذي : في السير، والنسائي: في المواقيت، والنكاح، والصيد والذبائح.
- (٩) كما ورد في الحديث، رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه. البخاري: كتاب الصلاة، وكتاب الجهاد والسير، ومسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة، والنسائي : في الغسل والتيمم، آخرون مثلهم.
- (١٠) الأحاديث في الموضوع كثيرة . باختلاف يسير جداً في اللفظ . وكلها من رواية أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها، منها ما أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، وأحمد في باقي مسند الأنصار، وأبوداود في الأدب، والدارمي في النكاح.
- (١١) البخاري، كتاب الحدود-
- (١٢) هي غزوة ذات الرقاع كما ذكره البخاري رحمه الله. فتح الباري، المغازي ٩ : ٤١٨، وذكر القرطبي عن كل من الواقدي وأبي حاتم الرازي وابن المنذر والبيهقي أن اسمه دُعُثُور بن الحارث - تفسير القرطبي ٥ : ١١١ سورة المائدة : ١١، قال ابن هشام (المؤرخ) : هو من بني غطفان ومُحَارِب - السيرة النبوية ٣ : ١٦٣ -
- (١٣) أخرجه البخاري في المغازي عن جابر رضي الله عنه، وأحمد في باقي مسند المكثرين عنه أيضاً، ونقله ابن هشام (المؤرخ) عن ابن إسحاق بلفظ مختلف- سيرة ابن هشام ٣ : ١٦٣.
- (١٤) الأنعام : ١٥٤-
- (١٥) شرح ابن هشام ص ٢٧٣، كنه المراد ق ٥٦ ألف . ب.
- (١٦) المائدة : ١٣-
- (١٧) البقرة : ٢٣٧-

- (١٨) أخرجه البخاري في حديث الأنبياء، وفي الحدود عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، ومسلم، والترمذي، وأبوداود، وابن ماجة، والدارمي كلهم في الحدود، والنسائي في قطع السارق، وأحمد في باقي مسند المكثرين عن جابر رضي الله عنه.
- (١٩) شرح الحافظ السيوطي رحمه الله: كنه المراد ق ٥٨ب، و أخرج أبوداود ما في معناه، في كتاب الطب عن أسامة ابن شريك -
- (٢٠) مسلم، كتاب الإيمان، وأحمد، مسند الشاميين -
- (٢١) ابن ماجة، كتاب الأطعمة، عن أبي مسعود رضي الله عنه باختلاف في اللفظ، ولم أجده عند غيره-
- (٢٢) الحشر : ٢١ -
- (٢٣) الزمر : ٢٣ -
- (٢٤) الطور : ٣٥ -
- (٢٥) البخاري : في كتابي المغازي وتفسير القرآن، ابن ماجة : في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، أحمد : في مسند المدنيين، عن جبرين مطعم -
- (٢٦) القاموس المحيط (غيل)-
- (٢٧) ومن ذلك ما رواه أبو إسحاق عن البراء ابن عازب رضي الله عنه قال: "سأل رجل البراء رضي الله عنه فقال : ياأباغمارة أوليتم يوم حنين، قال البراء : . وأناأسمع . أمّا رسول الله لم يولّ - يومئذ كان أبوسفیان بن الحارث آخذًا بعنان بغلته، فلما غشيه المشركون، نزل فجعل يقول :أناالني لاكذب- أناابن عبد المطلب قال : فمازني من الناس يومئذ أشد منه" - البخاري : كتاب الجهاد والسير، وأخرجه أيضاً في المغازي باختلاف يسير في اللفظ. ورواه مسلم في الجهاد والسير باختلاف يسير في اللفظ. والترمذي في كتاب الجهاد، وأحمد في مسند الكوفيين عن البراء بن عازب رضي الله عنه.
- (٢٨) الأحزاب : ٤٦ .
- (٢٩) قال ابن كثير : ورد في بعض الروايات أن رسول الله أعطاه برده حين أنشده القصيدة، وقد نظم ذلك الصرصري في بعض مدائحه، وهكذا ذكر الحافظ أبوالحسن ابن الأثير في أسد الغابة، قال : وهي البردة التي عند الخلفاء- قلت : وهذا من الأمور المشهورة جدًا ولكن لم أر ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه فالله أعلم- البداية والنهاية ٤ : ٤٣٣-
- (٣٠) هو زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي (ت ٨ هـ / ٦٢٩م)، اختطف في الجاهلية وهو صغير، واشترته خديجة رضي الله عنها ثم وهبته إلى النبي، فتبناه النبي . قبل البعثة . وأعتقه وزوجه بنت عمه، هو من أقدم الصحابة إسلامًا، كان عليه السلام يحبه ويقدمه، وجعل له الإمارة في غزوة مؤتة فاستشهد فيها- أعلام الزركلي ٣ : ٥٧-
- (٣١) النساء : ٧٨-



